تاريخ بني إسرائيل

بين القرآن الكريم وسفر الخروج

د. عبد الله الزكي

الملخص

تاريخ بني إسرائيل بين القران و سفر الخروج

يعد الجانب التاريخي أحد أهم الجوانب المعرفية في التوراة عامة وفي سفر الخروج خاصة، وسنتناوله من خلال مرحلتين أساسيتين الأولى مرحلة الخروج والثانية ما بعد الخروج.

مدخل: التعريف ببني إسرائيل:

إسرائيل هي كلمة من مقطعين، وهي كلمة غير عربية كنعانية الأصل[1]. وإسرائيل هو الاسم الثاني ليعقوب بن إسحاق عليهما السلام، وقد نقل القرطبي في تفسيره قولا لابن عباس رضي الله عنهما في:" إسرا بالعبرية عبد وإيل هو الله ، وقيل إسرا هو صفوة وإيل هو الله"[2]، وقد قيل الأصل ان إيل هو الإله وبذلك يمون معنى إسرائيل: عبد الاله، وبنو إسرائيل يقصد بهم سلالة يعقوب عليه السلام، فإسرائيل إذا رابطة نسب لا رابطة دين.

وقد ورد في سفر التكوين الاصحاح 32 قول الرب ليعقوب:" لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لانك جاهدت مع الله و الناس وقدرت"[3].

وبعدها أطلق المصطلح على مملكة الاسباط وكانت في الشمال مقابل مملكة يهوذا، وبنيمين في الجنوب، وفي أيامنا هذه أعاد الصهاينة طرح الاسم فقالوا عن فلسطين المحتلة بانها ارض إسرائيل وأطلقوا على كيانهم الذي يقوم على ارض مغتصبة اسم دولة إسرائيل، وما هذا الربط الذي جاء في غير مكانه إلا لربط مشروعهم الاستعماري التوسعي برابط ديني فاختاروا لذلك اسم إسرائيل الذي هو الاسم الثاني ليعقوب عليه السلام.

حالة بني إسرائيل العبرانيين بعد يوسف:

1: أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والطباعة والتوزيع – دمشق، 1990. ص 45.

2: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1،2006 – 1427 . ج2، ص: 15.

3: سفر التكوين الإصحاح 32.

من يستقرئ التوراة يرى ان وفاة يوسف عليه السلام تعني انتهاء عهد له خصائصه ومميزاته، وحين يموت هذا النبي الذي هو آخر الآباء الأولين، أو الانبياء الموحدين تنهي التوراة مرحلة يتشابك فيها الوهم والحقيقة والأسطورة بالواقع وكلما تقترب الأحداث زمنيا من زمن تدوين التوراة يدرك المدقق في الأسفار التوراتية ان كتبة التوراة يقتربون اكثر فأكثر من تزييف الحقائق وطمس كثير من الامور التي هي في غاية الأهمية[1].

ولعل الذي يلفت الانتباه ان التوراة حين تنهي سفر التكوين وتبدأ بسفر الخروج تقفز قفزا زمنيا يقلب المور قلبا مدهشا وتنقلب الحداث بمجرياتها ومعانيها انقلابا غريبا، يدرك من خلالها ان هناك أسباب كثيرة تقف وراء هذا القفز الزمني الكبير.

فما هو الزمن المفقود بين يوسف وموسى؟ وهل هناك أحداث وقعت لم تشر لها التوراة؟ وهل هناك انبياء بعثهم الله لأقوامهم أغفلتهم التوراة أو تغافلت عن ذكرهم؟ وما مصير أحفاد يوسف والأسباط أي إخوة يوسف بعد وفاته وكيف مهدت التوراة الامور الامور لظهور موسى على مسرح الحداث؟.

تقول التوراة في الاصحاح الأول من سفر الخروج:" ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل، واما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا وكثروا كثيرا جدا وامتلأت الرض بهم ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لألى ينمو فيكون إذا حدثت حرب إنهم يظمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم، فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيتون ورعمسيس"[2]

وفي بضعة سطور تتحدث التوراة باختصار شديد عن موت يوسف وإخوته وبروز جيل جديد من بني إسرائيل تكاثروا حتى ضاق بهم المصريون وتول السلطة ملك جديد ما سمع بيوسف، وراح المصريون يذلون بني إسرائيل خوفا من ان يكون أقوياء ويتحالفون مع الأعداء، ان اليهود بنو لفرعون مدينتين.

1: حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان: ص213

2: سفر الخروج، الاصحاح الأول من 6إلى 12.

ولعلنا نتساءل ما الذي حدث خلال الفترة الزمنية الفاصلة بين يوسف وموسى ولماذا أدخلتنا التوراة في سفر الخروج هكذا فجأة وكم هي المدة الحقيقية بين الزمنين؟.

فالتوراة تقول عن الفاصل بين الزمنين حوالي أربعمائة سنة وثلاثين ، وقد رد كثير من العلماء والباحثين عن ذلك فشككوا بهذه المدة واعتبروا كتبة التوراة مزورين للتواريخ، وقد رد على ذلك بن حزم بقوله:" ان مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة سنة وثلاثون سنة، وقد ذكر قبل ان فاهات ابن لاوي دخل مصر مع جده يعقوب ومع أبيه لاوي ومع سائر أعمامه وبني أعمامه، وان عمر فاهات بن لاوي المذكور كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة وان موسى بن عمران بن فاهات بن لاوي المذكور كان إذ خرج ببني إسرائيل من مصر مع نفسه بن ثمانين سنة"[1]. ومن قول بن حزم وغيره من الذين حققوا في مدة بقاء بني إسرائيل نستطيع ان نلقي الضوء على بعض الأحداث والشخصيات التي ذكرها المؤرخون والمفسرون وطمستها التوراة أو حاولت تأجيل الحديث عنها.

قال الدكتور حسن الباش صاحب كتاب القران والتوراة انه إذا امعنا النظر لوجدنا ان عددا من الانبياء وجدوا في هذه الفترة أي الفترة التي تفصل بين يوسف وموسى، وهؤلاء هم: أيوب وذو الكفل وشعيب، وقد ذكروا في القران الكريم وتناولتهم الخبار[2]. وهذا يعني ان الحلقة المفقودة بين يوسف وموسى لم تكن خالية من الانبياء الذين يمهدون لبعض الرسالات ويكملونها.

وإذا ما تحدثنا عن حالة بني إسرائيل بعد يوسف نجد انهم كثروا جدا وامتلأت الأرض منهم[3]، وان أسلوب حياتهم كان يختلف كلية عن أسلوب المصريين، فكانوا يعبدون الله الواحد بينما كان المصريون يعبدون آلهة عديدة، وكان العبرانيون قوما رحلا، بينما كان المصريون أصحاب حضارة راسخة، وكان العبرانيون رعاة بينما كان

1: ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ص159.

2: حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان: ص 216.

3:د أحمد حجازي السقا: نقد التوراة أسفار موسى الخمسة. دار الجيل بيروت الطبعة1، 1995، ص 41.

المصريون بناة، وكانت المرأة العبرانية متخلفة وبينما شغلت النساء المصريات مكانة بارزة في المجتمع[1].

فهذه العزلة والتكاثر أصبحا يستلفتان نظر المصريين، إذ غذوا يكونون تنظيما داخل الدولة، وفي هذه الفترة نجح امراء طيبة المصريون في التغلب على الرعاة الهكسوس فطردهم أحمص خارج البلاد وأقام حكما وطنيا ابتداء من السرة الثامنة عشر، ولم يتعرض لبني إسرائيل بسبب انشغاله بالعدو الأكبر[2]، لكن الشعور العدائي لهم اتضح مع قيام ملك جديد على مصر، لم يكن يعرف فضل يوسف عليهم فظلم بني إسرائيل .جاء في سفر الخروج الاصحاح الأول : " ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هو ذا بنو إسرائيل شعب اكثر واعظم منا"[3]. فهذه الجملة تلحص اهم الاحداث التي مرت خلال الزمن الطويل حيث كان ليوسف من السلطان في ظل الهكسوس ما مكنه ومكن آله ، وازدادوا غنى وعددا إلى ان سقط حكم الهكسوس ، ولم ينس المصريون لبني إسرائيل مؤازرتهم لحكام الهكسوس، بل خافوا إذا تركوهم على حالهم ان يعيدوا الكرة بالتحالف مع اية قوة أخرى صاعدة[4].

لذلك تقول التوراة ان الملك الجديد قال لشعبه :"هلم نحتال عليهم لئلا يكون إذا حدث حرب انهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض"[5]. هذا الاصحاح يبين ان الحاكم الجديد كان يخشى من ان يتامر بنو إسرائيل ضده.

فترتب عن هذا الشعور العدائي نحو بني إسرائيل ان اخذ بعض فراعنة مصر يشغلونهم في الاعمال الشاقة لإذلالهم[6], فقاموا بتسخيرهم في بناء مدينتي فيتوم

1: مجموعة من المؤلفين : التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص130.،

2:د، محمد رشيد العقلي: اليهود في شبه الجزيرة العربية. ط1980/1م، ص،22.

3: سفر الخروج: الاصحاح1: 8-9.

4: د: أحمد شحلان: لغاة الرسل وأصول الرسالات، منشورات إسسكو 2002م، ص42.

5: سفر الخروج: الاصحاح 1:10.

6: د، محمد رشيد العقلي: اليهود في شبه الجزيرة العربية.ص23.

ورعمسيس, وامر فرعون بقتل كل مولود ذكر عبري[1], وقال لقابلتي العبرانيين "شفرة وفوعة :"حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي , ان كان ابنا فاقتلاه وان كان بنتا فتحيا"[2]. غير ان القابلتين كنتا تخافا الله فلم تنفذا امر الملك فاستحيتا الأطفال الذكور[3], وفي هذه الفترة ولد موسى .

ولادة موسى إلى عودته من مدين:

لم تذكر مدونة التوراة نسبا متواترا لموسى كما هو الشان بالنسبة لانبياء بني إسرائيل غير ما جاء في سفر الخروج :"وذهب رجل من بيت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابنا"[4]. فخافت أمه عليه من شر فرعون الذي امر بقتل كل المواليد الذكور العبرانيين , فخبأته ثم وضعته بعد ذلك في سفطة صغيرة من البردي وألقته في اليم , بأمر من الله كما جاء في القران الكريم: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ ام مُوسَىٰ ان أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي انا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إن فِرْعَوْنَ وَهَامان وَجُنُودَهُمَا كَانوا خَاطِئِينَ"[5]. فهذه الآية الكريمة تبين ان القاء موسى في اليم كان بامر الهي وان ام موسى كانت واثقة من نجاته وعودته إليها , كما وعدها الله , كما تبين مدى إيمان وثقة ام موسى بالله, لان أي ام لا تستطيع إلقاء إبنها في اليم أي إلى التهلكة .

اما قوله تعالى "فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ" فهذا يعني ان أهل فرعون هم الذين التقطوه, لكن من من آل فرعون التقطه؟.

جاء في مدونه التوراة :" فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل ,وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر, فرأت السفط بين الحلفاء, فأرسلت امتها واخذته, ولما فتحته

1: د: أحمد شحلان: لغاة الرسل وأصول الرسالات، ص42.

2:سفر الخروج: الاصحاح1: 16

3: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ص131.

4:سفر الخروج:الاصحاح2: 2.1

5:سورة القصص: الآية 7، 8.

رأت الولد , وإذا هو صبي يبكي فرقت له وقالت: "هذا من أولاد العبرانيين"[1] فقالت اخته لابنه فرعون :هل اذهب وأدعو لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد ؟ فقالت: لها ابنة فرعون "اذهبي بهذا الولد وأرضعيه لي وانا أعطي أجرتك" فأخذت المرأة الولد وأرضعته. ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابنا, ودعت اسمه موسى وقالت: "اني انتشلته من الماء"[2]. فالتوراة إذا تذهب إلى ان ابنة فرعون هي التي التقطته وانها هي التي تبنته وسمته بموسى"بعد ان أرجعته امه إليها وقد صار طفلا يافعا"[3]، قائلة اني انتشلته من الماء.

اما القران الكريم فيحدد ان التي انتشلت موسى من الماء هي امرأة فرعون حيث ذهب أغلب المفسرين[4]إلى انه لما ألقت به امه في اليم انطلق به الماء حتى أوفى به عند فرصة مستقى جواري آل فرعون فرأينه وأخذنه فهممنا ان يفتحنا التابوت فقال بعضهن لبعض: ان في هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته لم يحركن منه شيئا حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه الغلام، فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس" **وَأَصْبَحَ فُؤَادُ ام مُوسَى فَارِغًا**"[5]. منذكر كل شيء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون يريدون ان يذبحوه فقالت للذباحين: انصرفوا فان هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، فآتي فرعون فاستوهبه إياه، فان وهبه لي كنتم قد أحسنتكم وأجملتم وان امر بذبحه لم ألمكم. فلما أتت به فرعون" **قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ**"[6]. قال فرعون: يكون لك، فاما انا فلا حاجة لي فيه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما اقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن

1: سفر الخروج:الاصحاح2: 6.5

2: سفر الخروج:الاصحاح2: 10.9.8.7.

3: د أحمد شحلان، لغات الرسل وأصول الرسالات، ص44.

4: ابن كثير والطبري والقرطبي.

5: سورة: القصص: الآية 10

6:سورة القصص الآية 9.

الله حرمه ذلك"[1]. والواضح من هذا ان امرأة فرعون فرحت للطفل فرحا شديدا فاعتبرته قرة عين لها لانها كانت عاقرا ولو كان لديها أولاد لما قالت قرة عين لي[2].

وهذا تناقض بين القران والتوراة حول من انتشل موسى من آل فرعون، والأقرب إلى المنطق ان التي التقطت موسى هي امرأة فرعون وليس ابنته، يقول ابن كثير" وعند أهل الكتاب ان التي التقطت موسى ابنة فرعون وليس لامرأته ذكر بالكلية وهذا من عظيم غلطهم على كتاب الله عز وجل"[3].

نشأ موسى في بلاط فرعون مصر، مصري التربية إسرائيلي العواطف إذ كان يعيش مع بني قومه فيما نزل بهم من الظلم في عواطفه حتى انه عندما رأى ذات يوم مصريا يضرب إسرائيليا استفزه ذلك فضرب المصري فقتله[4]. جاء في مدونة التوراة"...رأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته فالتفت إلى هنا وهناك ورأى ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل"[5]. وفي القران الكريم قوله تعالى:" **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ انهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**"[6]، فالقران الكريم يقول بان موسى وكز الرجل بعد ان استغاث به الرجل الآخر، والاستغاثة تظهر ان الرجل ضعيف لايقدر ان يصمد امام خصمه، وأيضا يقول باللفظ وكزه والوكز لا يقتل، وهذا دليل على ان موسى لم يرد القتل ولم يكن يدرك ان وكزته ستؤدي إلى قتل الرجل وهذا يناقض ما

1: ابن كثير: البداية والنهاية، ج1، ص301.

2: حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان: ص 218.

3: ابن كثير : قصص النبياء، ص 270.

4:ابريستد جيمس هنري: تاريخ مصر منذ اقدم العصور، ترجمة حسن كمال مطبعة الميرية القاهرة الطبعة 1، 1929م، ص406.

5: سفر الخروج: الإصحاح2: 12.

6:سورة القصص، الاية 14.

جاء في التوراة من انه قتل المصري تعصبا لبني جنسه[1]. فاضطر بعد قتله للمصري على الهرب حيث حطت به عصا الترحال في مدين جنوب الأردن وتزوج هناك بابنة شيخ فيها[2]. وظل عنده يرعى الغنم مدة طويلة. قال تعالى على لسان شيخ مدين:" قَالَ اني أُرِيدُ ان انكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ ان تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَان أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ ان أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي ان شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ"[3]. فهذه الآية الكريمة تبين ان شيخ مدين الذي دعته التوراة مرة يثرون زمرة رعوئيل في حين ذهب المفسرون إلى انه نبي الله شعيب مستدلين بقوله تعالى:" وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ"[4]. كانت عنده بنتين في حين ان التوراة قالت سبع بنات: "وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتين واستقين وملان الأجران ليسقين غنم أبيهن"[5].

ولما انتهت مدة إقامته في مدين لقوله تعالى" فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ"[6] قرر العودة على مصروفي أثناء رجوعه إلى مصر عبر صحراء سيناء تجلى الله له في جبل حريب، جاء في مدونة التوراة"...وجاء إلى جبل حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط علّيقة"[7]. وقال تعالى:" قَالَ لِأَهْلِهِ امكُثُوا اني انسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ"[8]، وامره الرب بعبادته وبعثه إلى فرعون والعودة إلى مصر لتحرير بني إسرائيل وأيده بالمعجزات حتى يقنع فرعون عندما

1: حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان: ص272

2:الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة،ط1، 1970م، ج1، ص391.

3: سورة القصص: الآية 27.

4:سورة هود: الاية 84.

5: سفر الخروج الإصحاح2: 16.

6:سورة القصص: الآية 29.

7: سفر الخروج: الاصحاح3: 2

8: سورة القصص: الآية 29.

يخاطبه[1]، وفي مدونة التوراة قول الرب له:" انه نظر إلى مذلة شعبه ونزل إلى انقاذهم وإخراجهم إلى الأرض الطيبة التي تدر لبنا وعسلا (...) وامره بالذهاب إلى مصر وطلب إطلاق شعب فرعون وأيده بالمعجزات (العصا واليد) وعززه بهارون لفصاحة لسانه بسبب ما أبداه من تخوف[2].ولتعلله بعيه اللساني، قال تعالى على لسان موسى:" قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي امرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي امرِي (32)"[3]. فالآية تبين ان موسى هو الذي طلب من الله ان يجعل معه أخاه هارون، وفي مدونة التوراة قول الرب: "أليس هارون اللاوي أخاك! انا أعلم انه هو يتكلم، وأيضا هو خارج لاستقبالك، فحينما يراك يفرح فتكلمه وتلقن فمه الكلمات وانا أكون معكما وأعلمكما ماذا تصنعان"[4].فهذا النص يبين ان الرب هو الذي طلب من هارون ان يكون عونا لأخيه موسى، وفيه يأتي لأول مرة على ذكره دون ان يمهد لظهوره على مسرح الأحداث.

ولا ندري كيف تمكن هارون ان يفلت من المصير الذي كان على موسى ان يصير إليه لولا ان وضعته امه في التابوت وألقته في اليم، فهل تصرفت في هارون كما تصرفت في شان موسى؟.

يرى بعض الباحثين[5] ان ذلك بعيد الاحتمال وان الذي يمكن ان يكون محتملا بل مقبولا هو ان امر فرعون بقتل المواليد الذكور من بني إسرائيل واستحياء المواليد الاناث لم يكن اكثر من امر رمزي أبعد عن الجدية من ان ينفذ بحذافيره. في حين يرى البعض الآخر[6]، ان ولادة هارون كانت قبل ان يصدر فرعون امر بقتل أبناء

1:د أحمد شحلان، لغات الرسل وأصول الرسالات، ص43.

2:محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل مكتبة نهضة مصر، ط1 ،1958م. ص42.

3: سورة طه: من الآية 25 إلى الآية 32.

4: سفر الخروج الإصحاح4: 14-15.

5: محمود نعناعة

6: أحمد شحلان.

الإسرائيليين، لان هارون ولد قبل ثلاث سنوات من ميلاد موسى، وكان ذلك قبل صدور الامر بقتل كل ذكر من أبناء العبريين، وعندما غادر موسى مصر إلى مدين ترك أخاه هارون مقيما بها[1]، فكيف تم اللقاء بينهما؟.

تذكر مدونة التوراة ان لقاء موسى يهارون تم بجبل حوريب حيث تحكي التوراة ان يهوه خاطب هارون قائلا:" اذهب على الصحراء لاستقبال موسى فمضى والتقاه عند جبل الرب وقبل فأطلع موسى هارون على جميع كلام الرب الذي حمله إياه"[2]. ثم مضيا لمقابلة فرعون، فكيف كان ذلك؟.

مقابلة موسى وهارون لفرعون:

انطلق موسى وهارون إلى مصر وجمع كل شيوخ بني إسرائيل، فحدثهم هارون بجميع ما قاله الرب لموسى، وأجرى موسى المعجزات امامهم، فامن الشعب، وعندما سمعوا ان الله قد افتقدهم ونظر إلى مذلتهم انحنوا ساجدين[3] . وهتفوا بموسى قال تعالى على لسانهم: " قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ ان تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا"[4]. واتجه موسى إلى فرعون يطلب منه ان يطلق معه بنو إسرائيل ليعبدوا إلههم يهوه في البرية بامر من الله، جاء في مدونة التوراة:" فإذا سمعوا لقولك تدخل انت وشيوخ بني إسرائيل وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا فالان نمضي سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا"[5]، وجاء في الاصحاح الخامس" هذا ما يعلنه الرب إله إسرائيل: أطلق شعبي ليحتفل لي في البرية"[6]، لكن فرعون لم يستجب لهذا الطلب إذ رأى من الخسارة ان يعفيهم من أعمالهم التي وكلها لهم ثم رأى انه من الخطر ان يطلقهم فقد يلتقون بأعداء المصريين في الشمال ويتفقون معهم على ما يؤدي المصريين فحاول موسى إقناعه

1: أحمد شحلان.، لغات الرصل وأصول الرسالات، ص47.

2: سفر الخروج: الإصحاح4: 28.27

3: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص139.

4: سورة الأعراف: الآية 129

5: سفر الخروج : الاصحاح 3: من 13إلى 18.

6: سفر الخروج : الاصحاح5: 2

وأراه معجزة العصا التي أحضر لها فرعون السحرة. جاء في مدونة التوراة:" وقال الرب لموسى وهارون: عندما يطلب فرعوم منكما قائلا: أرياني عجيبا فانك تقول لهارون خذ عصاك والقها امام فرعون فتتحول إلى حية"[1]. فهذا الإصحاح يخالف ما جاء في القران الكريم الذي يذكر ان موسى هو الذي ألقى العصا وليس هارون، قال تعالى:" قُلْنَا لَا تَخَفْ انكَ انتَ الْأَعْلَىٰ (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا انمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ"[2].

فالتوراة تنسب العصا لهارون والقران ينسبها لموسى لانه صاحب الشان الأول في جدال فرعون. اما بالنسبة للسحر فكان في عصر فرعون علما له شانه، والذي يفرق ما بين سحر السحرة وعصا موسى قدرة الله على المعجزة، لقد القى السحرة حبالهم وعصيهم فانقلبت خدعة اعين الناس إلى ثعابين، وعندما ألقى موسى عصاه تحولت إلى ثعبان حقيقيا وليس سحرا، والذي يؤكد ذلك ان السحرة يعرفون صنعتهم بالسحر ويميزون بينه وبين الحقيقة فلما ابتلع ثعبان موسى ثعابينهم المزيفة أدرك السحرة ان هذه معجزة ربانية وليست سحرا فامنوا بل خروا ساجدين معترفين بعجزهم امام الحقيقة الربانية.

ولم تميز التوراة بين فعل موسى وفعل السحرة ولم تنسب الفعل الذي حدث إلى معجزة إلهية، انما جاء الخبر خاليا من كل بعد إلهي سوى الامر الذي ألقاه الرب على موسى وهارون بعمل السحرة[3].

ورغم تفوق موسى إلا ان فرعون تمادى في تكذيبه ومناصبته العداء كما اشتد جوره على بني إسرائيل[4]. وعند رفض فرعون الإيمان وبقائه على عناده على الرغم من رؤيته معجزة العصا وفشل السحرة أرسل الله له ولقومه كما جاء في التوراة عشرة بلايا واحدة بعد الأخرى وهي: ضربة الدم حيث حول الله مياه النيل دما، والثانية صعود الضفادع

1: سفر الخروج : الاصحاح7: 10

2: سورة طه: الآية 69.68.

3: حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان: ص268.

4: ابن خلدون: تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، القاهرة 1384هـ، ج 2، القسم1، ص155

ثم غذو البعوض وأسراب الذباب وإهلاك المواشي والدمامل المتقيحة وسقوط البرد وغزو الجراد والظلام الكثيف والبلية العاشرة هي ضربة موت الأبكار، وكان فرعون كلما ظهرت بلية وأخفق السحرة في التغلب عليها طلب الشفاعة من موسى وبذل الوعد بالإطلاق فإذا ما انكفت عاد وقسا قلبه إلى ان كملت عشرة اضطر فرعون إلى البر بوعده"[1].

وقد جاء ذكر هذه البلايا على تعبير مدوني التوراة في القران الكريم حيث قال تعالى:" فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَان وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ"[2]، وقوله تعالى:" وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"[3]. غير ان ما يلفت النظر فيما ورد في التوراة حول هذه البلايا ان نهر النيل ينقلب ماؤه دما لمدة سبعة أيام، وموت السمك في النهر ونتانة مائه وصعود الضفادع من النهر إلى أرض مصر ونزول البرد العظيم يهلك ما أصاب وإظلام أرض مصر ثلاثة أيام وموت كل بكر من الناس والبهائم في مصر. فإذا كان الوباء قد قتل ما لفرعون وأهل مصر من الحياوانات فمعنى ذلك انه لم يبقى لديهم شيء من هذه الحيوانات، وحسب النص التوراتي فان جميع الدواب هلكت وهذا يعني أيضا ان دواب بني إسرائيل لحقها الهلاك، لكن التوراة تورد ان مواشي بني إسرائيل لم تهلك[4].

وفي قصة قلب الماء دما لقول التوراة: "ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وانهارها وأوديتها وعلى كل مجتمعات مياهها لتصير دما"[5]،

1: محمد عزت دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ، ص42.

2: سورة الأعراف :الاية 133.

3: سورة الأعراف :الاية 130.

4: حسن الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان: ص250.

5: سفر التكوين الإصحاح7: 19

وقد رد ابن حزم بقوله: " هذا خص حالهم فأخبر ان كل ماء كان بمصر صار دما، فأي ماء بقي حتى يقلبه السحرة دما كما فعل موسى وهارون"[1].

وبعد هذه الحوادث يرضخ فرعون ويسمح بخروج بني إسرائيل، وفي القران الكريم ام الخروج كان بامر من الله تعالى قال جل وعلا: " وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ ان أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ"[2]، وهذا تناقض فمتى كان الخروج وكيف كان؟.

سبب الخروج:

ان أقدم ما وصل إلينا عن قصة الخروج بعد التوراة يوسفوس المؤرخ اليهودي(ق1م). الذي ينقل عن منيثون المؤرخ المصري الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد، قوله :" ان سبب خروج جماعة موسى من مصر هو رغبة المصريين في ان يتقوا شر وباء تفشى بين العبرو والمستعبدين المملقين... وقوله ان موسى نفسه كان كاهنا مصريا خرج للتبشير بين المجدومين وانه علمهم قواعد النظافة على نسق القواعد المتبعة عند كهنة المصريين"[3]. ويقصد بالعبرو أهل الوبر وهم الإسرائيليون.

بينما تذهب مدونة التوراة ان سبب الخروج يرجع على تكاثر بني إسرائيل وخوف فرعون مصر منهم وتسخيرهم فأخرجهم الرب من هذه المحنة[4].

وقد تناقضت التوراة عند سردها قصة الخروج، فبعد ان تصف بمنتهى التفصيل والتطويل والتكرار ممانعة فرعون بالسماح لجماعة موسى بالخروج من مصر تعود لتصفها كما لو كانت طردا من مصر[5]. "لانهم طردوا من مصر ولم يقدروا ان يتأخروا فلم يصنعوا زادا"[6]. وهذا من ضمن تناقضات التوراة في سبب خروجهم من مصر.

1: ابن حزم : الفصل ج1، ص250

2: سورة طه: الآية78.

3: قصة الحضارة، الترجمة العربية، ترجمة محمد بدران، ط3، 1966م، ج2،ص175.

4:سفر الخروج، الاصحاح 1: 6

5:سفر الخروج:31: 12، 1: 11، 1: 6.

6: سفر الخروج: الاصحاح12: 39

من هم الخارجون وما هو عددهم؟

من هم الخارجون؟:

يرى بعض الباحثين ان الخارجين هم جماعة من المصريين الذين كانوا قد اخذوا بديانة التوحيد في عهد أخناتون فرعون مصر، واكثرهم من الجنود المصريين أتباع موسى ومن بقايا الهكسوس الذين بقوا في مصر بعد طرد الهكسوس منها، وكانوا يعرفون بالعبرو أو العبريو[1]، بمعنى البدو الرحل الآسيويين الذين اضطروا للخروج من مصر بعد موت أخناتون بسبب ديانتهم المناوئة للوثنية، وقد انظم إلى هؤلاء بعض الأسرى ولهاربين والعبيد الفارين من سادتهم، والظاهر ان فلسطين كانت أقرب ملجإ للعبيد المصريين الفارين من أسيادهم[2]. ويؤكد ذلك الكاتب الفرنسي جان برنار إذ يقول: لقد كان وضع كنعان المؤلم قد خلع عليها في الشرق اسم المنطقة التي تأوي إليها العبيد الفارين من أسيادهم[3].

اما مدونة التوراة فتذكر ان الذين ارتحلوا هم بنو إسرائيل فتقول: " فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت"[4]، فقولها هنا ان الخارجين هم بنو إسرائيل تعني انها ترجع الجماعة الخارجة في أصلها إلى إبراهيم الخليل وانها من ذرية يعقوب(إسرائيل)، ولا يوجد أي دليل تاريخي يؤكد ذلك، خصوصا ان الجماعة التي سخرها فرعون لبناء مدينتي فيتوم ورعمسيس هي من بقايا الهكسوس كذلك وليست فقط من بني إسراءيل بل ذهب البعض إلى القوا ان الذين سخروا هم بقايا الهكسوس فقط لان المدينة بنيت في موضع مدينة "أفارس" (هوراس) عاصمة الهكسوس في مصر، وبطبيعة الحال فان من بقي من الهكسوس في مصر لابد ان يكون قد تجمع في هذه المنطقة ذاتها فسخروا في بناء المدينة الجديدة في نفس المكان[5]، مع العلم ان المصريين كانوا

1:أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ: ص 608.

2: نفس المرجع

3: نفس المرجع

4:سفر الخروج الإصحاح:12: 37

5: أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ، ص609

يعتبرونهم بعض القضاء على حكمهم مصدر خطر على الدولة. ويؤيد ذلك ان المؤرخ المصري القديم مانيثون يشير إلى ان بقايا الهكسوس من البلاد قد تحصنوا في العاصمة أفاريس. ولم يستطع المصريون التغلب عليها فلجأوا إلى المصالحة على ان يخرج الجميع من ممتلكاتهم من غير ان يمسوا بسوء[1]. وجاء في سفر الخروج انه "صعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر مواشي وافرة جدا"[2]، وفي الترجمة التي تسمى بالتفسير التطبيقي للكتاب المقدس ذكر ان "بني إسرائيل انظم إليهم حشد كبير من الناس مع غنم ومواشي وقطعان كثيرة"[3]. فالخارجون إذا ليسوا من سلالة إسرائيل فقط بل فيهم لفيف كثير من الناس. فما هو إذا عدد الخارجين؟.

عدد الخارجين:

تذكر مدونة التوراة ان الخارجين كانوا نحو ست مائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد وصعد معهم لفيف كثير أيضا من غنم وبقر مواش وافرة جدا[4]. ويقول بن حزم في مناقشته لهذا العدد: "في توراتهم انهم كانوا ساكنين في أرض "قوس" فقط وان معاشهم كان المواشي فقط، وذكر في توراتهم انهم إذا خرجوا من مصر خرجوا بجميع مواشيهم، فاعجبوا أيها السامعون وتفكروا ما الذي يكفي ستمائة ألف(...) للقوت والكسوة من المواشي، ثم اعلموا يقينا ان أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشي، فكيف أرض قوس وحدها؟[5]. وقد ذكر الإصحاح الأول من سفر العدد ان موسى أحصى بني إسرائيل عند خروجهم من مصر فبلغ عدد الذكور الذين هم في سن العشرين فما فوق ستمائة وثلاثة ألف وخمسمائة، عدا اللاويين الذين بلغ عدد ذكورهم اثنان وعشرون ألف، وهذا يعني ان عدد بني إسرائيل حين خروجهم بقيادة

1: المرجع السابق: 609.

2: سفر الخروج:12: 38

3: التطبيقي للكتاب المقدس، ص156.

4: سفر الخروج:12: 37. 38-

5:ابن حزم: الفصل، ج1، ص274.

موسى كان نحو مليون ونصف[1]، إذا اضفنا إليهم اللفيف من الناس الذي خرج معهم والمواشي فان عددهم يمكن ان يكون أكبر من عدد سكان مصر في تلك المرحلة. فهذا العدد هو من المبالغات التي اختلط فيها الخيال مع الروايات والذكريات. فهل كان المرتحلون من مصر بقيادة موسى بهذا الحجم الضخم؟ اننا لو وضعنا في حسابنا ظروف الارتحال في الصحراء دون ان يكون المرتحلون يتعقبهم ويحصي عليهم حركاتهم لاستحال علينا ان نتصور ستمائة ألف ماش عدا الأولاد والنساء(...) يخرجون من مصر دفعة واحدة ومعهم متاعهم ومواشيهم ليقطعوا الفيافي والقفار حيث يندر الماء ويندر العشب[2].

ولو عدنا على حادثة انشقاق البحر لرأينا ان الإسرائيليين قطعوا البحر في ليلة واحدة ورجع البحر عند إقبال الصبح على حالته الطبيعية، فكيف يمكننا تصديق ان مليون من البشر- إذا عددنا النساء والأولاد واللفيف ـ على الأقل يجتازون محلة ما في ليلة واحدى؟.

وإذا عدنا إلى سفر الخروج نجد دلائل أخرى خفية تشي بان الرقم ستمائة ألف ليس إلا رقما خرافيا لا قيمة تاريخية له، يقول السفر:" وكان لما أطلق فرعون الشعب ان الله لم يهديهم في طريق أرض الفلسطينين مع انها قريبة لان الله قال:" لإلا يندم الشعب إذا راوا حربا ويرجعوا إلى مصر"[3].

فأرض الفلسطينين التي يشير إليها النص هي الساحل بين غزة ويافا[4]، فلو علمنا ان المدن التي استوطنها الفلسطينيون تعد على أصابع اليد الواحدة وهي غزة وعسقلان وأسدوس وعقرون وجت، لامكن ان تقدر ان عددهم كان متواضعا إذ لا يحق ان نبالغ في تخمين عدد سكان المدينة الواحدة في ذلك الزمن، فقد ذكر على سبيل المثال ان سكان مدينة لاجاس في أزهى عصور الحضارة السومارية لم يتجاوز الخمسة والثلاثين

1:محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم، ص45.

2: محمد نعناعة: تاريخ اليهود، ص132.

3: سفر الخروج:13: 17

4: محمود نعناعة: تاريخ اليهود، ص 132.

ألف، ولا تتصورا ان مكان مدن كنعان استطاعت ان تتطاول على رقم كهذا وهي البلاد الفقيرة إذا قورنت بالبلاد التي تمنحها الانهار العظيمة رفاهية العيش كمصر وبلاد ما بين النهرين، ولا بأس ان نشير مجدد على ان تقدير تعداد السكان في أرض كنعان في عصر الغزوة الإسرائيلية كان يناهز ربع المليون[1]، فغذا اضطر الإسرائيليون إلى تفادي مواجهة الفلسطينيين والدوران في طريق برية البحر الأحمر فلابد ان يكونوا أقل مائة مرة من الرقم الذي حددته الأسفار[2].

ويقول السفر على لسان الرب: "وأرسل امامك الزنابير فتطرد الحوبيين والكنعانيين والحثيين من امامك لأطردهم من امامك في سنة واحدة لألا تصير الأرض خربة فتكثر عليك وحوش البرية قليلا قليلا، اطردهم من امامك إلى ان تثمر وتملك الأرض[3]. فما هو الداعي إلى التقسيط في طرد أهل البلاد سنة بعد أخرى إذا كان الإسرائيليون بهذا العدد الضخم؟ كل هذه الدلائل توضح ان هذا العدد هو خرافي ومبالغ فيه بشكل كبير.

تاريخ الخروج:

اختلف العلماء حول تاريخ هجرة العبرانيين من مصر، فهناك رأي يذهب إلبانه كان في القرن السادس أي حوالي عام 1541ق م، ومن الواضح ان الآخذين بهذا التاريخ التوراتي لم يحاولوا ان يستقرئوا الأحداث ويستخلصوا منها الحقائق أو أشباه الحقائق[4]. وأصحاب هذا الراي يرون ان العبرانيين طردوا من مصر مع الهكسوس وهذا رأي مانثون المؤرخ المصري اليوناني الذي عاش حوالي 250ق م[5]، اما الرأي الثاني فيذهب إلى ان هجرة العبرانيين حدثت في منتصف القرن الخامس العشر ق م، وانها كانت في زمن تحتمس الثالث[6]، الذي حقق سبع عشرة غزوة في آسيا من عام

1: محمود نعناعة: تاريخ اليهود، ص 133.

2محمود نعناعة: تاريخ اليهود، ص 133.

3:سفر الخروج: الإصحاح 23: 28،29،30.

4:تاريخ اليهود، 128

5: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص132,

6: نفس المرجع. ص132

1479ق م إلى 1459ق م[1]،أو في زمن امنوفيس الثاني، ويتفق هذا مع ما ورد في لوحات تل العمارنة عن الخابيرو، ويعتقد العلماء ان هؤلاء العبرانيون الذين جاؤوا على أرض كنعان في هذا التاريخ تقريبا[2]. اما الرأي الثالث فيرى ان تاريخ الهجرة وقع في الفترة ما بين 1275ق م و1250ق م، وانها تمت اثناء حكم رمسيس الثاني الذي سجلت في عهده أوراق البردي التي تشير إلى تسخير العبرانيين في أعمال بناء مشارعه والذي كان نفوذ مصر في عهده شاملا الانحاء الجنوبية من بلاد الشام ومن جملتها شرق الأردن وغربه نتيجة لما كان بينه وبين الحثيين من اتفاقية[3]، ويذكر سفر الخروج ان العبرانيين بنوا مدينتي فيتوم ورعمسيس وان رعمسيس هو اسم الفرعون الذي حدث الخروج في عصره، وهذا دليل واه لان اسم رعمسيس استخدم في عصر سابق لعصر رمسيس الثاني بزمن طويل[4].

ويرى آخرون ان الهجرة قد تمت مرنبتاح أي نحو 1230ق م، يقول جوستاف لويون: "وفي عهد منفتاح أو امنوفيس كانت هجرة العبرانيين من مصر بقيادة موسى على أشهر الروايات، ولولا الفوضى لما جسر فريق من العبرانيين ان يتركوا أرض العبودية من دون ان يخشوا العقبات[5]. وقد جاء على نصب تذكاري انه انتصر على إسرائيل وغيرهم من الأقوام وانه قضى على نسله، وقد استدلوا على ان هذه إشارة إلى هجرة العبرانيين من مصر، مع ان هذه الإشارة يستدل منها على ان العبرانيين كانوا قد خرجوا من مصر قبل ذلك التاريخ وانهم قضوا سنين التيه في سيناء وتسللوا على كنعان واستقروا فيها، ونحن نعلم ان معجزة شق البحر تتحدث على القضاء على فرعون الخروج وليس القضاء على العبرانيون. فما هو الأقرب إلى الصواب من هذه الآراء؟.

1: تاريخ اليهود، 128

2: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص132

3:تاريخ بني إسرائيل من اسفارهم ،ص 43.

4: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص132,

5: تاريخ اليهود، ص129

ولو أخذنا ببعض التواريخ التوراتية واعتمدنا وقوع مهاجرة يعقوب وبنيه إلى مصر 1706 ق م[1]، وإذا كان يوسف قد عاش حوالي 1730ق م، واستمر بنوا إسرائيل من بعده في مصر مدة مقدارها حوالي 430 سنة حتى الخروج، وكانت مدونة التوراة تحدد سن موسى عندما توجه إلى فرعون بثمانين سنة[2]. فان مولده حوالي 1380ق موهي فترة بعد أخناتون امنوفيس أو المعاصرة له 1375ق م 1354ق م، ويكون الخروج حوالي 1300 ق م وهي الفترة التي حكم فيها رمسيس الثاني 1301 الى 1234ق م ، فيكون رمسيس الثاني هو فرعون السخرة والخروج.

مسار الخروج:

تحدث سفر الخروج في الفقرة الثالثة من الاصحاح الثاني عشر على الإصحاح الرابع عشر عن خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسى وهارون، ويطرح مسار الخروج من أرض رعمسيس إلى برية سيناء إشكالات لا تقل عن إشكالات زمن الخروج "فلقد تفادى الهاربون الطريق الدولي المعروف بطريق البحر وهو الطريق الأقصر الذي يصل الدلتا بمناطق فلسطين الساحلية، وفضلوا عليه الدوران عبر مسلك صحراوي طويل جديا، ويبرر النص التوراتي هذا الخيار غير المنطقي بالخوف من المواجهة العسكرية المتوقعة في أرض الفلسطينيين[3]، "وكان لما أطلق فرعون الشعب ان الله لم يهديهم في طريق أرض فليسطين مع انها قريبة لن الله قال:" لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر" فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف"[4]. ويمكن ان يكون تواجد القوات التابعة للجيش الفرعوني متواجدة في الحدود مع أرض الفلسطينيين لانه كانوا في صراع مع الفلسطينيين أو لانه كان يريد سد الطريق على الخارجين. وهنا يتناقض مع كونه هو الذي قال لهم: "قوموا اخرجوا من بين

1: تاريخ اليهود، ص128

2: لغات الرسل وأصول الرسالات، ص45.

3:فرس السواح: آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي"،ط1 ،1995، ص76.

4: سفر الخروج : الإصحاح 13: 17

شعبي انتما وبنوا إسرائيل جميعا واذهبوا اعبدوا الرب كما تكلمتم، خذوا غنمكم أيضا"[1].

فهل كان خروج بني إسرائيل سرا ام بامر من فرعون؟.

يرى البعض ان فرعون أذن لموسى وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى وطلبوا من المصريين امتعة وفضة وذهب وثيابا وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين"[2].

ويذهب آخرون انه كان سرا وان موسى دبر ان يخرج بقومه سرا، وهذا يتوافق مع اتخاذ الخارجين للمسار المذكور بشكل مجمل في القران الكريم، ويتوافق كذلك مع مفهوم قوله تعالى: " انا نَطْمَعُ ان يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانا ان كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (51) ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ ان أَسْرِ بِعِبَادِي انكُم مُّتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) ان هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَانهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَانا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56)"[3]، ويتوافق مع الفقرة39 من الإصحاح 12 من سفر الخروج: "وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة فطير إذ كان لم يختمر لانهم طردوا من مصر ولم يقدروا ان يتأخروا، فلم يصنعوا لانفسهم زادا"[4]. فلو كانوا خرجوا بإذن فرعون لما صوروا خروجهم كانه طرد.

الطريق التي سلكها الخارجون حسب التوراة:

يرجح الباحثون مستندين إلى وصف التوراة ان الطريق التي سلكها الخارجون من مصر هي طريق عمال المناجم القديمة إلى سيناء، فارتحلوا من بلدة رعمسيس في أرض جاسان وهي التي عرفت بمدينة المخازن، وتوجهوا إلى سكوت"[5]، مِنْ سُكُّوتَ وَنَزَلُوا فِي إِيثَام الَّتِي فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ[6]. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيثَام وَرَجَعُوا عَلَى فَمِ الْحِيرُوثِ

1: سفر الخروج : الإصحاح 12: 31-32.

2: سفر الخروج : الإصحاح 12: 35-36.

3: سورة الشعراء: الآيات: 56،54،53،52،51

4:سفر الخروج:الإصحاح12: 39

5: سفر الخروج:الإصحاح12: 37

6: سفر الخروج:الإصحاح13: 20

الَّتِي قُبَالَةَ بَعْلَ صَفُونَ وَنَزَلُوا امام مَجْدَل[1]، وسعى المصريون وراءهم وأدركوهم وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروت امام بَعْلَ صَفُونَ ثم ارتحلوا من بخر سوف الذي غرق فيه فرعون وخرجوا إلى برية شور[2] ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ امام الْحِيرُوثِ وَعَبَرُوا فِي وَسَطِ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وَسَارُوا مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّام فِي بَرِّيَّةِ إِيثَام وَنَزَلُوا فِي مَارَّةَ[3]. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ مَارَّةَ وَأَتَوْا إِلَى إِيلِيمَ. وَكَان فِي إِيلِيمَ اثْنَتَا عَشَرَةَ عَيْنَ مَاءٍ، وَسَبْعُونَ نَخْلَةً. فَنَزَلُوا هُنَاكَ[4]. ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ وَنَزَلُوا عَلَى بَحْرِ سُوف[5]، ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَحْرِ سُوفَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ سِين[6]، ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ بَرِّيَّةِ سِينٍ وَنَزَلُوا فِي دُفْقَةَ[7]. ودفقة هذه تقع في مدخل جبل سيناء في وادي فيران التي كانت فيها مناجم النحاس التي كان يستثمرها المصريون منذ أقدم الأزمنة، ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ دُفْقَةَ وَنَزَلُوا فِي أَلُوش[8]، ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ أَلُوشَ وَنَزَلُوا فِي رَفِيدِيمَ[9]. وفي رفيديم دارت أول معركة بين بين الخارجين وبين العمالقة سكان البلاد[10]. ومن رفيديم ارتحلوا إلى برية سيناء حيث نزل الخارجون امام الجبل[11]، وهو جبل سيناء الذي نزلت فيه الشريعة وهنا التقى موسى بزوجته صفورة وابنه وحميه يثرونالذين جاؤوا من مديان للالتحاق به[12].

بنو إسرائيل في سيناء:

1:سفر الخروج:الإصحاح14: 1-2
2: سفر الخروج:الإصحاح15: 22
3:سفر العدد: الاصحاح 32: 8
4: سفر العدد: الاصحاح 32: 9
5: سفر العدد: الاصحاح 32: 10
6: سفر العدد: الاصحاح 32: 11
7: سفر العدد: الاصحاح 32: 12
8: سفر العدد: الاصحاح 32: 13
9: سفر العدد: الاصحاح 32: 14
10:سفر الخروج: الاصحاح 13: 17
11: سفر الخروج: الاصحاح19: 2
12: سفر الخروج: الاصحاح، 18: 6

يشغل وجود بني إسرائيل ومن هرب معهم من مصر في صحراء سيناء حيزا واسعا في التوراة والقران، ولعل جميع ما شرعه موسى لهم كان أثناء وجودهم في هذه الصحراء، ويتفق القران والتوراة في معظم الخطوط العامة لحياة بني إسرائيل في الصحراء. غير اننا نرى في التوراة امورا يجب التوقف عندها قبل الحديث عن مجريات الأحداث في سيناء.

1. تقول التوراة " وأخذ موسى عظام يوسف معه لانه كان قد استحلف بني إسرائيل قائلا" ان الله سيفقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم"[1]. وكانت التوراة قد قالت في آخر جملة في سفر التكوين ثُمَّ مَاتَ يُوسُفُ وَهُوَ ابْنُ مِئَةٍ وَعَشَرِ سِنِينَ، فَحَنَّطُوهُ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ فِي مِصْرَ[2]، فمعلوم ان المكتشفات العلمية المتخصصة بالفراعنة والتحنيط أقرت بان التحنيط يبقي على الجثة البشرية مدة طويلة من الزمن قد تصل إلى حوالي ألفي عام أو أكثر، وهناك في متحف لندن والمتاحف المصرية توجد جثث لبعض الفراعنة محنطة وتقام عليها دراسات علمية تشريحية. فإذا كان يوسف قد حنط فعلا فالمفترض ان تبقى جثته سليمة إلى حد كبير لانه لا يفصل بين موته وبين خروج بني إسرائيل أكثر من مائتي سنة على أبعد تقدير. وقد أشارت التوراة إلى ان يوسف امر بتحنيط أباه يعقوب عندما مات في مصر وذكرت ان مدة تحنيط جثته دامت أربعين يوما، ثم وضعت في تابوت ونقلت إلى الخليل لتدفن هناك. ولم يورد القران الكريم شيئا عن وفاة يوسف أو تحنيط جثته أو حتى نقل رفاته إلى فلسطين من مصر.
2. تقول التوراة في آخر الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج" وكان الرب يسير امامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عمود نار ليضيء لهم ليمشوا نهارا وليلا. ولم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار

1: سفر الخروج: الاصحاح19: 13

2: سفر التكوين 50: 26

ليلا من امام الشعب"[1]. فهذا النص يشير إلى تجسيد واضح للإله، وهل يعجز الله ان يهديهم بأسلوب آخر كان يرسل ملك يتحمل مسؤولية هدايتهم الى الطريق؟ أو ان يسخر لهم عمودا نار أو دخان يدلهم السبيل؟ ألا يصح مسيرهم إلا إذا كان الرب يسير امامهم في الليل والنهار؟[2].

ويستطيع المرء ان يلحظ ان مهمة موسى زبني إسرائيل في التوراة بدأت تنقلب في توجهاتها، وهذا ما تؤكده الاحداث في تاريخ بني إسرائيل.

وتتابع الأحداث فيدخل بنو إسرائيل سيناء ويتدمرون على موسى وهارون لقلة الماء والأكل فدعا موسى ربه ان يكفيهم حاجاتهم فبعث لهم الله المن والسلوى وهذا ما جاء في التوراة في سفر الخروج في الاصحاح السادس عشر وأكده القران الكرم.

وعندما استقر بهم الحال في سيناء ذهب موسى لميقات ربه ليتلقى تعاليم الشريعة من قبل وحي الله عز وجل، وقد غاب موسى عن قومه مدة ثلاثين يوما وأتبعها بعشر ليالي ثم تلقى رسالة السماء. يقول تعالى: " قَالَ يَا مُوسَىٰ اني اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (144) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَامرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (145)[3].

وترد تفاصيل كثيرة عن ذهاب موسى لربه عند جبل حوريب في سيناء وذلك في الإصحاح 19 والإصحاح 20 من سفر الخروج.

وفي غياب موسى انقلب قومه على ديانة التوحيد وصنعوا عجلا وراحوا يعبدونه حتى عاد موسى، وهذا ما صرح به القران الكريم وصرحت به التوراة لكننا سنجد بينهما[4]. فالتوراة تقول عن هارون استجاب لطلبهم وصنع لهم العجل، والحقيقة القرآنية ترى ان السامري هو الذي صنع العجل بينما حاول هارون ان يثنيه ويثنيهم عن صنعه

1: سفر الخروج: الاصحاح13: 21-22

2:القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان: ص212

3:سورة الأعراف : الآية 144و 145

4: التوراة والقرآن اين يتفقان وأين يختلفان، ص 258.

لكنهم أبوا وهددوا بقتله ان هو عارضهم أو قاومهم والآية القرآنية تصرح بذلك، قال تعالى: " قَالَ ابْنَ ام ان الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي"[1].

ولابد من الإشارة إلى أن البحث الأثري والتاريخي والأركيولوجي لم يتوصل بعد إلى تحديد مسار الخروج (...) فالمواقع التي مر بها الإسرائيليون مثل مارة وإيليم وغيرها غير مذكور خارج النص التوراتي والمواقع التي تحمل أسماء مشابهة في سيناء لم يعط المسح الأركيولوجي فيها نتائج تشجع على إجراء أية مطابقة بينهما وبين مواقع الخروج بما في ذلك موقع جبل موسى المعروف تقليديا بموقع جبل حوريب فتسمية جبل موسى هي تسمية حديثة وليست قديمة، وجاءت عقب بناء كنيسة القديسة كاترين البيزنطية[2].

ويرى بعض الباحثين أن الممالك التي واجهها الإسرائيليون في مناطق شرقي الأردن لم تكن قائمة على الإطلاق زمن الخروج وأن المنطقة بكاملها كانت خالية من السكان تقريبا خلال أواخر البرونزي الأخير ومطلع عصر الحديد. وذلك بسبب الجفاف الذي حل بالمنطقة[3].

وأخيرا نختم الجانب برأي للباحث sarna وهو مؤرخ وباحث توراتي يهودي أمريكي، فيقول: "إن خلاصة البحث الأكاديمي حول مسألة تاريخية الخروج تشير إلى أن الرواية التوراتية تقف وحيدة دون سند من جهة، وهي مليئة بالتعقيدات من جهة أخرى، وهذا كله لا يساعدنا على وضع أحداث الخروج ضمن إطار تاريخي . إضافة إلى ذلك فإن النص التوراتي يحتوي على محددات داخلية ذاتية ناشئة عن مقاصد وأهداف المؤلفين التوراتيين، فهؤلاء المؤلفون لم يكونوا يكتبون تاريخا، وإنما يعملون على إيراد تغييرات لاهوتية لحوادث تاريخية منتقاة وقد تم صياغة الرواية التوراتية بشكل يتلاءم مع هذه المقاصد والأهداف ، وبالتالي فإننا يجب أن نقرأها ونستخدمها تبعا لذلك. إننا نفتقد إلى المصادر الخارجية التي تتحدث عن تجربة الإسرائيليين في

1:سورة الأعراف الآية 150.

2: آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي: مرجع سابق ص77.

3: المرجع نفسه، ص77.

مصر أو تشير إليها بشكل مباشر ، والبنية الموضوعية الواضحة على تاريخية النص التوراتي هنا مفقودة تماما بما فيذلك نتائج التنقيب الأثري"[1]

1:نقلا عن آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي: مرجع سابق ص78.